سياسة نابليون III في الجزائر و وقائع زيارته إلى المركز الاستيطاني غيليزان 21 ماي 1865

The policy of Napoleon III in Algeria, and the facts of his visit to the Relizane colonization center on May 21, 1865

ليلى بلقاسم

Leila BELGACEM

- جامعة غليزان، Leila.belgacem@univ-relizane.dz

- تاريخ الاستلام: .19./11/..2023 - تاريخ القبول: .25./05/..2024 تاريخ النشر: 2024/11/01

ملخص:

سنحاول من خلال هذه الدراسة التركيز على سياسة نابليون الثالث الإدماجية في الجزائر خلال فترة الإمبراطورية الثانية (1852-1870) بتأكيده في كل برامجه الكولونيالية على أن الجزائر مملكة عربية ومستعمرة فرنسية، بما يشجع الاستيطان وتكريس الوجود الفرنسي في الجزائر من خلال المشاريع العقارية التي استهدفت القبيلة والأرض، والمشاريع الإدماجية التي استهدفت الأحوال الشخصية للجزائري، حيث خص الجزائر بزيارتين فيما بين (1860-1865) في محاولات تفتيشية

عملية، ومنه كان العمل على استيعاب الأهالي الجزائريين بدعوى التمدن وفق الرؤية الكولونيالية في إطار الجزائر فرنسي. وقد تطرقنا إلى زيارة نابليون الثالث للمركز الاستيطاني غيليزان في 21 ماي 1865، والتي كانت رحلة تفقدية لأحوال الكولون بعد انتفاضة سيدي لزرق بلجاج1864، والتي قوبلت باحتجاج أهالي فليتا للإفراج عن أبنائهم وتخليصهم من غرامات الحرب الثقيلة. وبالتالي فلقد خلصنا من خلال هذه الدراسة إلى أن سياسة نابليون الثالث كللت بقرار الملكية 1863 وقانون الجنسية 1865 وتحول المركز الاستيطاني غيليزان إلى ورشة عمل بما يخدم الاستيطان الأوروبي، السياسة التي كان لها انعكاسات في المجالين الاقتصادي والاجتماعي في محاولاته لمسخ الأمة الجزائرية بدليل الكوارث الإنسانية التي عصفت بالمجتمع الجزائري(1866-1870).

كلمات مفتاحية: نابليون الثالث، غليزان، استيطان، إمبراطورية ثانية. الملكية.

Abstract:

Through this study, we will try to focus on Napoleon III's integration policy in Algeria during the period of the second empire (1852-1870) by confirming in all his colonial programs that Algeria is an Arab kingdom and a French colony, which encourages settlement and the consolidation of the French presence in Algeria through real estate projects that targeted the tribe and the land. And the integrative projects that targeted the personal status of the Algerian, as he singled out Algeria with two visits between (1860-1865) in practical inspection attempts, and from it was the work to absorb the Algerian people on the

pretext of urbanization according to the colonial vision within the framework of French Algeria, and we discussed the visit of Napoleon III to the settlement center of Relizane on 21 May 1865, which was an inspection trip to the conditions of the colon after the uprising of Sidi Lazraq Beljaj in 1864, which was met with the protest of the people of Flieta to release their children and rid them of heavy war fines. Thus, we concluded through this study that the policy of Napoleon III culminated in the Royal Decree 1863 and the Nationality Law 1865 and the transformation of the Relizane settlement center into a workshop that serves European settlement, a policy that had repercussions in the economic and social fields in his attempts to distort the Algerian nation, evidence of the humanitarian disasters that afflicted Algerian society (1866-1870).

Keywords: Napoleon III, Relizane , settlement, A second empire, Property.

1- المقدمة:

حدثت في عهد الإمبراطورية الثانية (1852-1870) تغيرات في ميدان الحكم والإدارة الفرنسية بالجزائر ترتب عنها عودة الحكم العسكري، وسياسة الاستعمار والتوسع والاستيطان، في مقابل محاولة إرضاء الجزائريين نظريا بالوجود الاستعماري عن طريق

الإدماج الإداري والتنظيمي والعقلي، والدعوة للملكة العربية لتطوير العنصر العربي وإدخاله في مصاف الشعوب المتحضرة في وقت استمر فيه تدفق المهاجرين الأوروبيين. فكانت ترسانة القرارات والقوانين والمراسيم التي وضعها نابليون الثالث تكريسا لمشروعه الكولونيالي الهادف إلى تفتيت البنية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وصولا إلى الاحتفاظ بالجزائر فرنسية إلى الأبد، فافتتح عهد الستينات بزيارته للجزائر مرتين 1860 و 1865 وهي أول مرة يزور فيها رئيس دولة فرنسية هذه الأرض، الزيارة التي جاءت في ظل الوضع العام المتوتر جراء صراع العسكريين والمدنيين واشتداد قبضة الكولون في الجزائر وسيطرتهم على مقاليد السلطة مما أدى إلى معارضة الجزائريين ولجوئهم إلى الانتفاضات والهجرة إلى البلاد الإسلامية.

فما هي طبيعة السياسة المنتهجة لنابليون الثالث خلال فترة الامبرطورية الثانية عقب زيارته للجزائر 1860-1865 لإنجاح المشروع الكولونيالي في الجزائر؟

2- سياسة نابليون الثالث في الجزائر خلال زيارته الأولى 1860:

تعمقت رؤى نابليون الثالث الإدماجية حول مشروع الجزائر فرنسية منذ عام 1852 حول مستقبل المستعمرة بتوجيه تطمينات للكولون من خلال تصريحاتهِ التي أرسلها إلى غرفة التجارة ببوردو (Bordeaux) مصرحا :" لدينا قبالة مارسيليا مملكة شاسعة سنعمل من أجل دمجها مع فرنسا." (Les Idées Napoléoniennes، Fourmestraux en Algérie، 1866، صفحة 1) إذ تميزت الفترة (1860-1865) بمعارضة المدنيين للنظام العسكري والمكاتب العربية واشتداد قبضة الكولون مما

أدَّى إلى انتشار المقاومات بنوعيها الجماعية والفردية أمام التوسع الاستيطاني جرّاء اغتصاب الأراضي من الجزائريين بمختلف الصيغ، وتخريب الاقتصاد المحلي في ظل ما كان يحلم به مستوطنو الجزائر بإقطاعية برجوازية يكون لهم فيها دور الأسياد وسكان البلاد دور الأرّقاء. إضافة إلى القضاء على الهوية الإسلامية وهذا ما أقدم عليه الوزير شاسولوب لوبارت (Chasseloup Laubert) في إلغاء القضاء الإسلامي والرجوع إلى المحاكم الفرنسية، ما اعتبره الجزائريون بمثابة الرِّدة الأمر الذي أدَّى إلى خروج العديد من الجزائريين من البلاد قاصدين البلاد الإسلامية.

في هذه الظروف عزم نابليون الثالث على زيارة الجزائر في 17 سبتمبر 1860 بحيث ورد في خطابهِ في مدينة الجزائر أمام نخبة المجتمع من رجال الدين والقضاة والإداريين والعسكريين :" فكرتي الأولى لأوَّل وهلة وضعت فيها قدمي في هذه الأرض الإفريقية اتجهت نحو الجيش لشجاعتهِ وبسالتهِ في استكمال غزو هذا الإقليم الواسع، العناية الإلهية التي بعثته كخلاص، واجبنا الأوّل هنا إحلال السعادة لـ 03 ملايين عربي... العناية الإلهية التي دعتنا للاستجابة لهذه الأرض لأجل منافع الحضارة ، فما هي الحضارة ؟ هو أن نعدد الرفاه لأجل شيء ما، حياة الإنسان لأجل الكثير من الكمال الأخلاقي للصالح العام. وهكذا نرتقي بالعربي إلى كرامة الرجال الأحرار، بنشر التعليمات مع احترام عقيدتهم وتحسين أوضاعهم وذلك بإخراج من هذه الأرض الكنوز المغمورة التي وهبتها العناية الإلهية، فالحكومة السيئة تركتها عقيمة من دون جدوى...هذه مهمتنا ولن نفشلَ وأمام هؤلاء المستوطنون أصحاب الجرأة الذين جاؤوا هنا لتثبيت العلم الفرنسي في الجزائر ومعهم كل الفنون لشعب متحضر، أريد القول أنَّ

حماية الميتربول- فرنسا- لهم لن يفتقدونها سنكون إلى جانبهم، وأنّ المؤسسات التي رسخناها هنا ستكون إلى صفهم، ويجب أن نأمل أن يكون نموذجهم محل متابعة وأنَّ السكان الجدد سوف يبقون على هذه الأرض التي هي فرنسية إلى الأبد." (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, pp. 27-28)

من خلال هذا التصريح تتضح رغبة الإمبراطور نابليون الثالث في استنزاف خيرات الجزائر واستغلالها بما يخدم مصلحة المشروع الاستيطاني- الفرنسي في ظل دعم الحكم العسكري، والعمل على استيعاب الأهالي الجزائريين بدعوى التمدن الذي يخفي بذور الإدماج بما يحقق التهدئة و شروط النماء والتحضر وفق الرؤية الكولونيالية في إطار الجزائر فرنسية. فالإقامة القصيرة للإمبراطور بالجزائر خلال رحلته الأولى التي استمر إلى 19 سبتمبر 1860 جعلته يرسم تصورات حول وضعية البلاد وأنّ الأمر يتطلب تغييرات جادة، مجسدا بذلك مشاريع السان سيمونيين، فبعد شهرين من عودتهِ إلى فرنسا شرع في إصلاحات سياسية بفرنسا والجزائر، فبموجب مرسوم 26 نوفمبر 1860 استدعي مجلس الأمة والهيئة التشريعية لمناقشة وافتتاح دورة استجابة لطلب التاج وسمح للصحافة في أن تنشر تقارير اجتماعات مجلس الأمة والهيئة التشريعية، فصدر قرار إلغاء وزارة الحرب (1857-1860)، وعين الماريشال بليبسي (Pelissier Duc De Malakoff) حاكما عاما على الجزائر، ثم جاء مرسوم آخر بتاريخ 10 ديسمبر 1860 حدد اختصاصات الحكومة العامة والإدارة العليا ومجلس الحكومة في الجزائر، فبعد إلغاء وزارة الحرب ومركزية كل الإدارات بالجزائر تم إنشاء في الجزائر إدارة عامة جديدة للمصالح المدنية مع الحكومة العامة، أصبحَ خلالها

للكولون نفوذ سياسي كبير من خلال المجالس العامة التي وجهت اتهامات للمكاتب العربية التي عدت حسب رأيهم " الظغمة المناوئة لفرنسا".

غير أنّ عجز الحاكم العام بيليسي الذي استغله المدير العام للشؤون المدنية مارسيي لاكومب (Mercier Lacombe) الذي وسع من سياستي **الحصر والتجميعْ** (Cantonnement)خلافا لسياسية نابليون الثالث التي تنص على إشراك الجزائريينَ مع الأوروبيين بدعم من الحكومة بدليل استمرارها في محيط مينا والشلف بمنطقة غليزان. وقد تولى اسماعيل أوربان (Ismaÿl Urbain) منصب مستشار مقرر في المجلس الاستشاري للحكومة العامة، و في ظل إصرار نابليون الثالث على ضرورة الضمان لأهالي البلاد في ظل احترام أراضيهم وحقوقهم، انطلاقا من رؤى اسماعيل عربان " أنّ الفلاح الجزائري هو ابن البلاد" (روبير، 1982، صفحة 59). وهذا ما يتضح في رسالة 06 فيفري 1863 الموجهة إلى بيلسي بعد عامين من التغيير الذي عمقت قناعات نابليون الثالث أنَّ الإداريين الجزائريين القدماء والجدد لم يتمكنوا من التوغل في اهتمامات رئيس الدولة، ولم يفهموها حتى من وجهة نظر المصالحة التي يعمل عليها بين العنصرين الأوروبي و الأهلي. " (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 33) تضمنت رسالة نابيلون الثالث التي حملت أفكار اسماعيل أوربان وبدت واضحة من خلال كتيب الجزائر فرنسية والمهاجرين (L'Algérie Française : Indigènes et immigrants) (Ismayl, 1862, p. 59) .

لم تمض أشهر قليلة بعد هذه الرسالة حتى أعلنَ عن القرار المشيخي(Sénatus-Consulte) 22 أفريل 1863 المتعلق بتأسيس الملكية في الجزائر في الإقليم الذي يشغله الأهالي، والذي اعتبرته بعد الأقلام

والساسة الفرنسيون نوعا من السخاء والكرم الإمبراطوري على الجزائريين وأحد الأساليب المُهِّمة لترسيخ وتسهيل الاستيطان بالجزائر. كما آثار هذا البرنامج الإمبراطوري سخط الكولون كونه أحدث تغييرات في النظام القانوني والإداري بالخصوص فيما يتعلق بالملكية العقارية وظهرت ردة ضد اسماعيل أوربان باعتباره الملهم الأساسي للإمبراطور، وطالب بيليسي بإقالتهِ من منصبهِ كمستشار، إلى جانب الرفض والصراع التي ظهرت معالمه في البيئة الأوروبية فور صدور رسالة نابليون الثالث بالخصوص في الصحافة التي ساندت الكولون.

3- زيارة نابليون الثالث إلى الجزائر 1865 وتكريس البرامج الكولونيالية:

أمّا الزيارة الثانية التي قادته إلى الجزائر وهذا بعد التقارير التي كانت تصله من العسكريينَ وبعد الانتفاضات الشعبية التي شهدها القطاع الوهراني ضمن مقاومة أولاد سيدي الشيخ 1864 وانتفاضة سيدي لزرق بلحاج بيغليزان 1864 التي استقطبت الكثير من قبائل المنطقة(فليتا، بني وراغ...)، بحيث عزم نابليون الثالث على عزل الحاكم العام بيليسي من منصبهِ بعد عرقله مشاريعه الكولونيالية بالجزائر، ميزه الصراع الشديد بين العسكريين والمستوطنين الذين نسب إليهم سبب الانتفاضة متهمين إيَّاهم باستفزاز الأهالي. غير أنّ الحاكم العام بيليسي توفي بتاريخ 22 ماي 1864 بالجزائر، ليُستدعى دوق ماكماهون دوق ماجونتاَ (Duc Mac Mahon duc Magenta) لتعويضهِ بموجب مرسوم 01 سبتمبر 1864 وقد شغل منصب الحاكم العام بالنيابة جنيرال المقاطعة مارتيبراي (Martimprey) من 22 ماي 1864 إلى 01 سبتمبر 1864 وهذا قبل أنْ يستدعى لمنصب عضو مجلس الأمة، وخلال

نيابتهِ وقعت تعديلات فيما يتعلق بالنظام الإداري بموجب مرسوم 07 جويلية 1864 بحيث تمت إلغاء إدارة المصالح المدنية وخلق الأمانة العامة لشؤون القضايا المدنية، و وضع المحافظون تحت سلطة جنيرالات المقاطعات وتقرر أنَّ العنصر الأَهلي سيخصص له على الأقل **الربع** في تشكيل المجلس العام لكل عمالة (Estienne, Histoire complète du Maréchal De Mac – Mahon, 1874, p. 152). كان الهدف من هذا المرسوم وضع حد للعداوة بين السلطة العسكرية والسلطة المدنية برفع سلطة ومسؤولية الجنيرالات الذين يقودون المقاطعات عن طريق إخضاع المحافظينَ لهم وإعطائهم إدارة الأهالي التي أقيمت خارج الدوائر البلدية (Circonscriptions communales)، وهذا تبعا للأحكام بما يحفظ للأوروبيين إدارتهم الطبيعية في حين وضع الأهالي وفق الرؤية الكولونيالية تحت إدارة أكثر تكيفا مع عاداتهم وتقاليدهم (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie , 1866, p. 42).

عيَّن نابليون الثالث دوق مكماهون حاكما عام على الجزائر بموجب مرسوم 01 سبتمبر 1864 و الذي وصل إلى الجزائر وتسلم منصبه بتاريخ 19 سبتمبر 1864، بحيث صرح للسكان الأُوروبيين والأهالي في خطاب فحواه تطميني للكولون وتحذيري للأهالي جاء فيه : " سأظهر للجميع بنفس الحياد وبنفس العطفِ ونفس الحماية في تنظيم المصالح التي سيشارك فيها الجميعْ، من خلال أداء الواجب والتفاني لأجل الجزائر... سأكرس كل وقتي لتوافق المصالح بما يحقق ازدهار ومستقبل المستوطنة، أوربيو ومستوطنو الجزائر يجب أن لا يقلقوا أو ينزعجوا من الاضطراب جرّاء انتفاض بعض القبائل البعيدة، ذلكَ أنّ جيشنا

دائما سيقمعهاَ، الأهالي العرب والقبائل تعلمون أنني لست أجنبيا بينكم و تعرفونني منذ مدة طويلة أنني عطوف على الرجال الذين يبحثون عن الخير و منغلق حاد لمثيري الفوضى والشغب، فكل التقارير التي هي بحوزتي دائما أبحث فيها عن متابعة روح المساواة والعدالة، فستجدونني دائما بنفس الشيء... بعض القبائل التي ضللتها النصائح الخادعة لبعض الرجال الطموحينَ، بإعطائهم آذانهم لروح الشر والثورة، مع ذلك ليس هناك سبب جدي للشكوى ضد الحكومة الفرنسية التي تحترم عقيدتهم والتي تكرس بطريقة لا رجعة فيها حق الأهالي في الملكية في إقليمهم .فكيف يمكن استغلال سذاجتهم إلى درجة جعلهم يأملونَ في أن يقاوموا فرنسا... " (Estienne، Histoire complète du Maréchal De Mac – Mahon، 1874، صفحة 153)

زيارة نابليون الثالث إلى الجزائر في الرحلة الثانية كانت بتاريخ 03 ماي 1865 دامت 05 أسابيع أي 34 يوم قطع فيها الإمبراطور مسافة 3.084 كلم، وقد شاركه فيها الجنيرال فلوري (Fleury) الذي سعى إلى تحقيق الفكر الإمبراطوري في ظل المعارضة الشديدة لبرامجه، كان فيها توماس اربان ملازما له في رحلاته إلى مختلف مناطق الجزائر كمترجم ومستشار، وقد جاء في خطاب الإمبرطور نابليون الثالث أمام أعيان مدينة الجزائر :" أنا سعيد في أنني موجود على هذه الأرض الفرنسية، فالظروف منعتني قبل 05 سنوات من تحقيق رؤيتي في أن أرى هذا البلد جميل وكنت قد وعدت بالعودة إليه وها أنا قد عدتُ." (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 49)

وقد أشار نابليون الثالث في خطابهِ أنّه يسعى إلى دعم الكولون من خلال إحلال الشركة العامة الجزائرية (S.G.A) حديثة التشكيل من أجل استغلال الثروة الزراعية والمعدنية وتنفيذ الأشغال الهامة لأجل الصالح

العام استجابة لمطالب مستوطنو الجزائر وفي نفس الوقت صرح أنه لم يأت لتدمير قومية شعب : " قرابة 35 عام، عندما وضعت فرنسا قدمها في الأرض الإفريقية، لم تأتِ لتدمير قومية شعب، ولكن على العكس لتحريركم من الاضطهاد القديم، فقد حلَّت محل الهيمنة التركية من خلال حكومة أكثر لطفا وأكثر عدالة و أكثر استنارة.. تعلمون اهتماماتي فلقد أكدت بين أيديكم دون رجعة ملكية الأراضي التي تشغلونها، لقد كرَّمت زعمائكم واحترمت عقيدتكم.. أرغب اليوم في العمل على تحسين رفاهيتكم أكثر للمشاركة بقوة في إدارة بلدكم كمنافع للحضارة، ولكن بشرط من جهتكم، ستحترمون من يمثلون سلطتي... قولوا لإخوانكم الضالين أنّ محاولة الانتفاضات الجديدة ستكون قاتلة بالنسبة لهم. مليونان من العرب لا يمكنهم المقاومة أمام أربعون مليون فرنسي" (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 54) ومن هنا يتضح أثر الانتفاضات على الوجود الكولونيالي في الجزائر ومشاريعه الاستيطانية في الجزائر، وأنّ الهدف منها جاء لتهدئة الجزائريين واحتوائهم بما يخدم مصالح الوجود الاستعماري. وهذا ما كشف عنه خطابه الذي استهله خلال زيارته الموَّجه لمستوطني الجزائر بـ: "جئت في وسطكم لأطلع على اهتماماتكم وأثمن جهودكم وأضمن لكم حماية الميتربول- فرنسا- واستجيب لما ينقصكم، فلقد صارعتم منذ مدة طويلة ضد عائقين رهيبين الطبيعة العذراء وشعب مُحارب، غير أنّ الأيَّام القادمة ستكون أفضل، سيتم جلب شركات خاصَّة بما يوفر الصناعة وتدفق الرأسمال لتنمية الأرض ومن جهة أخرى سيتم احتواء العرب بالنوايا الخيرة، فلن يكونوا قادرين على إثارة هدوء البلاد لذلك نؤمن بالمستقبل من أجل أن ترتبطوا بهذه الأرض التي ستزرعونها كوطن

جديد وتتعاملوا مع العرب الذي يجب أن يعيشوا معكم كما مُواطينكم ... ستكونون هنا كما الأسياد لأننا الأكثر حضارة وسنكون كرماء لأننا الأقوياء سنحقق أخيرا وباستمرار عهد الانتصار لواحد من أسلافناَ الذين تبثوا في هذه الأرض الإفريقية قبل 35 سنة العلم الفرنسي والصليب وقاموا بالتوقيع في نفس الوقتِ على الحضارة رمز السلام والعطف" (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 51)

3-1- زيارة نابليون الثالث إلى المركز الاستيطاني غيليزان ماي1865:

وقد خصت منطقة "**غيليزان**" ضمن برنامج رحلة نابليون الثالث في القطاع الوهراني حيث حط بها قادما من مستغانم يوم الأحد 21 ماي 1865 عقب انتفاضة سيدي لزرق بلحاج للإطلاع على المشاريع الاستيطانية منها سد مينا يذكر أوكتاف تيسي (Octave Teisseir) في هذا الصدد :" مرّ صاحب الجلالةِ أمام العرض والسوق فإذا بموجات بشرية من الأهالي بلغت 2.000 برنوس أحاطت بعربة الإمبراطور التي توقفت بحيث تعزز موضع القدم على الأرض من شدة الجموع... أغلبيتهم قاتلوا ضدنا في السنة الماضية لقد أردوا من جلالتهِ إطلاق سراح أبنائهم المساجين والمحتجزين في فرنسا. "(Teissier, 1865, p. 182)

الزيارة التي جعلت الإمبراطور يقتنع بضرورة الاهتمام بمطالب الكولون رغم إعلانه العفو الشامل على المساجين، سيما وأنّ المستوطنة منحصرة بين جبال الظهرة وعرش فليتا المتميز بالاضطراب كما ذكرت التقارير الأرشيفية ، بدليل أنّه جاء للاطمئنان على وضعية الكولون بعد انتفاضة سيدي لزرق بلحاج وهذا ما كشفت عنه رسالة قدمها النائب في مجلس الأمّة الفرنسي (M. Le Vicomte Lanjuinais) في جلسة 19 جوان 1866 : " قدم الإمبراطور إلى غليزان في 21 ماي 1865 و

وجه الكثير من الأسئلة إلى المفوض المدني (Commissaire Civil) ولآخرين في وسط جموع من الكولون أمام الماريشال ماكماهون (Mac Mahon) والجنيرال ديليني (Dligny) و فلوري (Fleury) .. بسؤاله : " هل كان هناكَ ضحاياَ ؟ سيدي : 14 -أجاب المفوض- ليرد الإمبراطور " 14؟" ... أجاب الامبرطور بنبرة الدهشة المؤلمة .." (1866, pp. 241-247)

في حين ذكر أوغيست فورماستروا (Auguste, Fourmestraux):" الأحد 21 و بعد حضور القدّاس اتجه الإمبراطور إلى غيليزان، هنا اندهش من تطور المركز الرائع المثير للإعجاب المنشأ عند تقاطع وادي مينا والشلف، السد الذي سيسمح بري 25.000 هك آثار اهتمامات جلالتهِ، ولكن عند اختراق ودخول المستوطنة ،أحيط الموكب الإمبراطوري فجأة بجموع من قبيلة فليتاَ بالكامل، عدة آلاف من الأفراد طالبوا الالتماس بجدية بالإفراج عن أبنائهم الذين اقتيدوا خلال الانتفاضة الأخيرة وأرسلوا إلى فرنساَ، لقد مست احتجاجاتهم إخلاص ومشاعر جلالتهِ، وقد أخد بنصيحة الحاكم العام ماكماهون وأعلن من خلال الخليفة ولد سيدي لعريبي بإعطائهم العفو، عقد الرأفة الذي رُحب به من طرف المتظاهرين بأكثر ترحاب وكان أيضا مناسبة لمشهد مؤثر جدا . " (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 89) .

وعليه يمكن اعتبار تجمع قبائل فليتا حول الامبرطور لطلب الالتماس وإطلاق سراح ذويهم في حشود ضمن التظاهر السلمي (Manifestation pacifique)، من خلال رفع انشغالاتهم للامبرطور نابليون الثالث في فترة عصيبة ميزها اجتماع القوانين العقارية وانعكاسات الانتفاضة الشعبية ومنها الغرامات المالية التي فرضت جراء

الحرب على سكان المنطقة كعقوبات وزاد من المأساة غزو الجراد والجفاف والمجاعات الذي لحقت بالمنطقة.

بحيث نقرأ في جريدة شمال إفريقيا في صور (l'Afrique Du nord Illustré) : " أنّه في 01 أفريل 1865 المفوض المدني سيلفاستر (Sylvestre) تولى منصبه، وفي 21 من ماي كان استقبال الإمبرطور نابليون الثالث، الاستقبال الذي كاد أن يتحول إلى مأساة، بحيث قدمت فليتا في حشود إلى المدينة لطلب الالتماس لإطلاق سراح المسجونين عقب الانتفاضة، لحظة وصول الموكب الامبرطوري إجراءات النظام لم تكن صارمة ووقائية، في تلك اللحظة الأهالي أحاطوا بكتلة العربات لتقديم التماساتهم بحيث لم يتمكن الموكب من التقدم. الماريشال ماكماهون آثار خطر التجمهر ... فأمر بإلقاء القطع النقدية والعملات البرونزية، فأمطرت الدنانير يمينا ويسارا على العرب المحتجين ليتم فك الحصار على الموكب.. "(1929, p. 21) .

2-3: - تداعيات زيارة نابليون III الى غليزان 1865:

وقد أعقبَ زيارة نابليون الثالث تكريم الزعماء والقيادات المحلية بمنطقتي مينا والشلف بحيث أقدم في 22 ماي 1865 بمستغانم على تقليدهم الرتب والنياشين من ذلك سي عبد الله ولد سي لعريبي خليفة آغاليك بني وراغ ومينا والشلف برتبة ضابط كبير (Grand Officier)، و الحبيب بن حضري قايد قيّاد فليتا برتبة قائد (Commandant)، وسي شعبان ولد سي لعريبي آغا مينا والشلف و قدور بن عبد الصادوق قايد قياد الظهرة برتبة فارس (Garde de Chevalier , Echo d'Oran) .(1865و ما يؤكد استجابة نابليون الثالث لمطالب الكولون تحول غليزان إلى ورشة عمل ما بين (1866-1870) تصب في صالح المشروع الاستيطاني

الذي جاء على حساب ملكيات الجزائريين وتجاهل حقوقهم، وهي ذاتها المرحلة التي شهدت تطبيق قرار السيناتيس كونسيلت(Sénatus-Consulte) وإقرار الملكية وسط القبائل، الزيارة التي كرست ضرورة إنشاء المشاريع الاستيطانية بما يضمن بقاء المستوطنين في مقدمتها السّد الخزان بمينا لتنمية الزراعة الأوروبية بالخصوص الصناعية وخلق وحدة عسكرية لحماية المستوطنة ودُعِّم ذلك بتفعيل نشاط الشركة العامة الجزائرية في المنطقة، وهذا ما تؤكده جريدة إفريقيا في صور في قسمها المخصص لغليزان ومناطقها : " فمن ناحية الاستيطان زيارة الامبرطور كانت على وجه الخصوص مكرسة لمعاينة الأضرار الجسيمة و المخاطر الناجمة عن الانتفاضة والشروع في بناء المباني المخصصة للبلدية وعدالة السلم والعبادة المسيحية، ومن ناحية استحداث الطرق باستمرار أشغال الطريق الوطني ومنه طريق تيارت - غليزان وإقامة السكة الحديدية الجزائر وهران... إذ كانت سنوات (1868-1869) مثمرة بافتتاح طريق السكة الحديدية وجسر مينا · ") (Echo d'Oran , 1865 كما أوكلت لمصلحة الجسور والأشغال القيام بعدة أعمال بالخصوص المتعلقة بالري لتوسيع ملكيات الكولون بالمنطقة ودخول الرأسمال الأوروبي بقوة من خلال الشركة العامة الجزائرية لإعطاء دفع قوي للاستيطان من خلال تهيئة مساحات وهو العقد المقدم للشركة بحيث حصلت في 1867 بموجب عقد توثيقي في 08 جوان على 1.285 هك من أراضي الدومين على الضفة اليسرى لواد مينا (Thintoin, 1950, p. 21)

إذ نقرأ في الأرشيف المحلي بغليزان أنّ الشركة فتحت مناقصة لتأجير الأراضي بالضفة اليسرى لواد مينا شملت 28 حصة أرضية بمساحة

1.538 هك و 83 آر و 92 سنتيار، تضمنها العقد التوثيقي ممثل في مدير الشركة (directeur du comptoir de la société générale d'Oran) بالنيابة (agissant en vertu d'une procuration de monsieur le président de la société) لوزري (Lozy) بتاريخ 09-07-1869 أمام الموثق اندري بيران (André Périn) كاتب المفوض المدني بغليزان الذي شغل وظائف موثق. (غليزان، 1869)

4- نتائج زيارة نابليون الثالث للجزائر1865:

رحلة نابليون الثالث إلى الجزائر التي تقول التقارير أنه أظهر فيها نشاطا خلال 34 يوم بزيارته لكل ربوع البلاد كانت بمثابة جولة تفتيشية عملية، حيث عمل على استجواب الأشخاص من خلال الجلسات والنظر في المذكرات المطبوعة والمخطوطات التي قدمت له وحول الحقائق التي لامسها، و بتاريخ 20 جوان 1865 أَطْلع الامبرطور الحاكم العام ماكماهون على الرسالة التي تلخصت نقاطها في اعتبار الجزائر مملكة عربية ومستعمرة أوروبية وفضاء فرنسيا ولذلك فهي جديرة بالاهتمام لخصها الكلمات التالية :" فرنسا تملك الجزائر منذ 35 سنة يجب أن يكون الغزو من الآن لأجل إنماء قوة فرنسا وليس سببا لإضعافها، وليتحقق ذلك فإنه من الضروري تهدئة الخصومات والتوفيق بين المصالح التي تثار لأجل هذه الأرض الفرنسية التي لا غنى عنها." (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 169) كما أمر الحاكم العام مكماهون بإتباع سياسة التعايش والتشارك بين العرب والأوروبيين وتقريبهم من القوانين الفرنسية وإقناعهم بالتطور والحضارة :" ففي ظل الحكومات المتعاقبة ما يقارب 15 نظام تنظيمي عام جربناه كل واحد عكس الآخر منه ما يميل نحو المدني وآخر نحو العسكري وآخر اتجاه العربي وآخر اتجاه المستوطن، تسبب في إثارة

الاضطراب في العمق في العقول مع أقل ممارسة فعلية، برنامجي يتلخص في كلمات كسب ود العرب من خلال المنافع الإيجابية (Gagner la sympathie des Arabes par des biens faits positifs)، وجذب الكولون الجدد من خلال النماذج الحقيقية للكولون القدماء، واستغلال مصادر إفريقيا فيما يتعلق بالموارد وكذلك الرجال، للوصول إلى تخفيض جيشنا ونفقاتهِ " (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 157) .

وقد أثارت الرسالة ضجة كبيرة في فرنسا والجزائر الأمر الذي دفع إلى تأخير إعلانها كونها تحمل أفكار جديدة رأتها المعارضة مناوئة للمشروع الاستيطاني في الجزائر، وفي إطار مخططه الإدماجي أصدر نابليون قانون السيناتيس كونسيلت المتعلق بالجنسية 14 جويلية 1865 الذي نص على كيفية حصول الجزائريين على الجنسية الفرنسية بحيث اعتبرهم القانون الفرنسي مسلمين فرنسيين ما داموا محافظين على أحوالهم الشخصية ويحتكمون إلى الشريعة الإسلامية، ما يسمح لهم بالدخول في الخدمة العسكرية خارج الجزائر وتولي الوظائف المدنية داخل الجزائر.

صرح عضو مجلس الأمة (Delangle) أنّ نابليون الثالث تبَّث نوع الملكية في الجزائر واليوم القانون يعد خطوة جديدة وحجر جديد تمّ جلبهُ إلى المبنى حول تنظيم وضعية الأشخاص." (Fourmestraux, Les Idées Napoléoniennes en Algérie, 1866, p. 153) القانون الذي اعتبر سخاء ثاني من الإمبراطور انطلاقا من الرؤيا الكولونيالية : " أنّ مستوطنتنا التي تمتد على طول الساحل قبالة البحر الأبيض المتوسط التي لا يفصلها عن ميناء مارسيليا إلى مسافة تقريبية بـ 772 كلم ، يجب

أن تصبحَ امتداد لفرنسا (.Prolongement de la France). " (Rouard De Gard, Etude sur la naturalisation en Algérie , 1881, p. 6) القانون الذي اعتبر الأهالي الجزائريين من وجهة نظر الحقوق المدنية أنهم ليسوا ككل خاضعين للقوانين الفرنسية إذ يبقون في إطار عاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم القومية ، فيما كل ما يتعلق بالأحوال الشخصية وفي المسائل المرتبطة بالزواج والبنوة وتأسيس الأسرة، والتي تقرر وفق القانون الإسلامي ذلك أنّ مشرعو القانون المشيخي تجنبوا التصادم إذ أنَّه من غير السياسة الاصطدام بأحكام مترسخة و متجذرة والمساس بالقناعات الدينية ,(Rouard De Gard, Etude sur la naturalisation en Algérie, 1881, p. 10). غير أنّه من وجهة النظر السياسية لا يمكن للأهالي الاستفادة من التشريعات الفرنسية فإذا كانوا فرنسيون لا يعني أنهم مواطنون فرنسيون إذ لا يمكنهم المشاركة في ممارسة السلطة العامة وبالتالي لا يمكنهم أن يكونوا لا ناخبين ولا مؤهلين للانتخابات السياسية في مجلس الأمة الفرنسي وغرفة النواب (Rouard De Gard, Etude sur la naturalisation en Algérie, 1881, p. 10). أمّا عن قبولهم في الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي التي حددها مرسوم 21 أفريل 1866 و مدة الالتزام بـ 04 سنوات، بحيث أنه في السنة الأخيرة يمكن للأهلي إعادة الارتباط. وقد حددت الغاية من وراء الخدمة العسكرية من خلال ما أشار إليه عضو مجلس الأمة (Delange) في تقرير خاص للمجلس " تصبح فرنسي، فرنسي أهلي مؤهل للخدمة في الجيوش الفرنسية إذ يكفي إظهار الرغبة لأجل الصفوف المفتوحةِ له، فكرت الحكومة ولديها سببها في ذلكَ، أنّ كل الإمكانيات متاحة في تسريع الاندماج بين الأجناس الأكثر فاعلية من دون شك ... بالتحديد المحاربين ودمجهم مع الصفوف كجيش وفي هزيمته سيكشف عن التضامن فيما بينه و عن البسالة. " (Rouard

كما De Gard, Etude sur la naturalisation en Algérie, 1881, p. 10) حدد القانون في إطار تطبيق أفكار نابليون الثالث ضمن إشراك الأهالي في الوظائف أنهم يصبحون مؤهلين لشغور الوظائف المدنية التي حددها مرسوم 21 أفريل 1866 في العدالة والإدارة بالخصوص التعليم العام، والأشغال العامة، والمياه والغابات، البريد والتليغراف، ويمكن أن يكون الأهلي موثق وكاتب وعضو في المجلس العام للعمالة، ومستشار بلدي وأستاذ في الثانوي وكاتب في التسجيل والدومين وضابط مصلحة الحالة المدنية.

الخاتمة:

وعليه فإن سياسية نابليون الثالث في الفترة (1865-1860) 1865 كان هدفها إدماجي بالقضاء على الهوية ومقومات المجتمع الجزائري بدعوى التمدن والحضارة إلى إتباع أسلوب التهدئة بدليل إحداث الدواوير الأهلية (Les Douars-Communs) المزودة بمجالس استشارية أو مجالس الجماعة التي حلت محل القبيلة، وأنشئت بصورة مؤقتة بلديات فرعية تجمع البلديات المنشأة، والبلديات التي بقيت في حالتها التقليدية على مستوى المقاطعة العسكرية لتنشأ البلديات الأهلية والبلديات الكاملة الصلاحيات والبلديات المختلطة يقوم فيها الضابط قائد الشعبة بوظيفة رئيس البلدية، وأقيمت إلى جانبهِ لجنة بلدية مشكلة من الأوروبيين واليهود والمسلمين وأعيد أيضا تنظيم القضاء الإسلامي وحلت محل المجالس الاستشارية في الاستئناف غرفة خاصة مختلطة فرنسية إسلامية. لهذا عدت مرحلة حكمه من أخطر المراحل لم تكن سياسة تمدين للجزائريين كما كان يصرح اسماعيل إربان بقدر ما كانت سياسة مسخ ومسح في العمق و التي كان لها انعكاسات خطيرة أدت إلى استمرار

الاستعمار في الجزائر، نجم عنها نتائج كارثية جراء الإصلاحات الكولونيالية التي تبحث عن غرس العنصر الأوروبي في الجزائر على حساب الأهلي وهيكله الشخصي والمادي، منها الفترة التي أعقبت ما بعد 1866 إلى 1870 و التي تخللتها أزمات اقتصادية واجتماعية تسببت في كوارث إنسانية عرفت بالمسغبة أو المجاعة السوداء وما زاد على ذلك اجتياح الجراد لمناطق التل 1866 مما أسهم في تفشي الأوبئة والأمراض حيث بلغت الخسائر البشرية 500.000 شخص.

قائمة المراجع والمصادر:

أولا: المراجع العربية:

1. آجيرون، شارل، روبير. (1982). *تاريخ الجزائر المعاصرة*. (عيسى عصفور، المترجمون) باريس: عويدات بيروت.
2. الموثق بوعناني غليزان. (9 جويلية ، 1869). أرشيف عقد توثيقي .

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

1 . Echo d'Oran . (1865, Mai). *Echo d'Oran* .2

2 . Annales du Sénat corps Légéslative. (1866). *Annales du Sénat corps Légéslative T, Septieme du 1er au 19 Juin 1866, L'Administration du moniteur Universal 1866* , 241-247.

3 . Echo d'Oran . (1865, Mai). *Echo d'Oran* .

4 .Estienne, P. (1874). *Histoire complète du Maréchal De Mac – Mahon.* Paris: Librairie Universelle D'afred Duquesne.

5 .Fourmestraux, E. (1866). *Les Idées Napoléoniennes en Algérie.* (Libraire-Ed, Éd.) Paris: Challamel Ainé.

6 . Ismayl, U. (1862). *L'Algérie Française : Indigènes et Immigrants, Challamel ; Ainé ; Libraire ; Ed, Paris, 1862.* (Libraire-Ed, Éd.) Paris: Challamel Ainé.

7 .l'Afrique Du nord Illustré, Journal Hebdomadaire D'actualité Nord Afrique. (1929). *l'Afrique Du nord Illustré, Journal Hebdomadaire D'actualité Nord Afrique , N° :400* (23°), 21.

8 .Rouard De Gard, (. (1881). *Etude sur la naturalisation en Algérie* (éd. Librairie, Ed). Paris: Berger Levrault et Cie.

9 .Teissier, O. (1865). *Napoléon III en Algérie.* Paris.

10 .Thintoin, R. (1950). L a plaine de Relizane avant l'irrigation . *B.S.G.A* ,18